الفصل الرابع والعشرون

في خرافات الأمم القديمة وذكر شئ من اعتقاداتهم

من تصفح تاريخ العالم القديم رأى أن جميع الناس على اختلاف مللهم وتباين نحلهم أجمعوا على إعتقاد الخرافات وتصديق المستحيلات وإقتفى البعض أثر البعض كأنهم أمة واحدة فوق الأرض لا يفرق بين دانيها وقاصيها ولا يفضل عابدها على عاصيها وإسترسل كل فريق منهم في الأوهام وما كان عليه إن اهتدي في طريقه أو هام وهاك طرفًا مما به أرجفوا وفيه خرفوا من ذلك أن المصريين كانوا ينسبون لكل واحد منهم طيفًا أو خيالًا أو ظلًا يسمونه (قا) ومعناه عندهم القرين أو القرينة ويعتقدون أن الإنسان مادام على قيد الحياة سكن قرينه الأحجار والصخور والأخشاب و بقى بها فإذا مات إنتقل معه إلى قبره وسكن فيه ولازمه ملازمة الصفة لموصوفها وقال مسبرو كان القرين عندهم عبارة عن نتيجة حياة الإنسان في الدنيا فإذا مات سكن معه في رواق القبر المعد لإجتماع أهل الميت وأقاربه أيام الأعياد والمواسم أو سكن الأماكن المعدة لذبح القرابين المجاورة لمدفن صاحبه وزعموا أن عض السباع والوحوش والهوام يؤثر فيه كما أن لدغ العقارب أو نهش الأفاعي يميته وسمها يجري في جسمه الوهمي كما يجري في جسم الأحياء و يعتريه الجوع والظمأ والشيخوخة والهرم ثم يدركه الفناء وبالجملة يعتريه جميع ما يعتري الأحياء وكانوا يزعمون أن غذاءه دائمًا من القرابين التي تقدم إلى الميت صاحبه بعد الدفن وأن صورة القرابين المرسومة على جدر المقابر تكفيه ألم الجوع فإن لم ير عليها رسم شيء ولم تبادر أهله بذبح القرابين خرج من القبر إلى الفلاة والطرقات وأكل القاذورات والقمامات فإذا لم يجد ما يأكله مات لوقته جوعًا وعطشًا وكانوا يقولون إنه يأكل الجوع ويشرب العطش رغمًا عنه وهي عبارة يصعب الوقوف على حقيقتها ولعلهم يريدون بذلك أن الجوع والظمأ يدخلان جوفه رغمًا عنه وقالوا أن الأغذية الدسمة تقويه والمشروبات المرطبة ترويه وقد أكثروا في نصوصهم من ذكر ذلك منها ما وجد مكتوبًا بقبر (تتي) ونصه (ما كان تتى يخشى إلا الجوع ولم يأكله وما كان تتي يخشى إلا العطش ولم يشربه) والإشارة في ذلك إلى قرينه لا إلى شخصه وكانوا يكتبون الرقية والتعاويذ على الأحجار ويجعلونها مع الميت في قبره لتقي طيفه أو قرينه ألم الجوع والظمأ منها (إبعد أيها الجوع

عن تتى وحد عنه وإذهب إلى (نو) وارجع إلى محيط الملكوت ولا تدخل في جوفه لأنه شبعان وأنت أيها الظمأ أغرب عنه ولا تمسه لأن تتي مروي).

وبإمعان النظر يتضح أن بعض هذا الإعتقاد يطابق ما هو شائع الآن على لسان فريق من أهل هذا العصر إذ يعتقدون أن كل قتيل له خيال أو طيف يسمونه العفريت أو الساروخ ويقولون إن كل عفريت يخاف من الكلاب كما أنهم يرون صحة القرينة والقرين وأن الأمراض العصبية والأحوال التشنجية التي تصيب الأطفال ليست إلا نتيجة فعلهما بهم ويقولون إن دواءها الوحيد هو الرقية وتعليق التمائم في عنق الطفل المصاب ولا جرم أن هذه الأوهام الفاسدة سرت إلينا من تلك الأمة تلقاها الأحفاد عن الأجداد قضية مسلمة بدون روية ولا تعقل.

ويقرب من ذلك ما كانت تدعيه عرب الجاهلية من وجود الطيف أو الخيال الذي يسمونه الهامة ويزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره ويقول إسقوني إسقوني إلى أن يؤخذ بثأره وكانت طائفة منهم تزعم أن النفس طائر يخرج من جسم الإنسان إذا مات أو قتل يسمى الهامة ولا يزال متصورًا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشًا له وفي ذلك يقول شاعرهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الإسلام والعرب تقول بالهامة والهام حتى قال النبي ﷺ (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرًا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لاتزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت أما الصفر المذكور في الحديث الشريف فهو حية تكون في بطن الإنسان إذا جاع عضت على شرسوفه وهذا أيضًا من خرافاتهم وفي القاموس الشرسوف كعصفور غضروف معلق بآخر كل ضلع وذكر ماريت باشا أن قدماء المصريين كانوا يضعون مع أمواتهم أكلًا وشربًا زادًا للسفر الطويل في الدار الآخرة وقال مسبرو أن أهل ليبيا قامت على فرعون (نخروفس) نفرقارع وهددوا داخل المملكة المصرية فقام الملك لمكافحتهم وإصطف جند الفريقين وبينما هم على وشك القتال وإذا بالقمر خسف فخاف أهل ليبيا وظنوا أن القمر غضب عليهم فصالحوه وإنقادوا لأمره ولم يخرجوا عن طاعة المصريين مرة ثانية وهذا يقرب مما حكاه بعض المؤرخين من أن سيا كزار ملك الميديين تحارب مع آليات ملك الليديين

مدة خمسة أيام متوالية ولم يغلب أحد خصمه وفي اليوم السادس بينما هم في أشد القتال إذ رأوا الشمس إنكسفت إنكسافًا كليًا وتحول ضوء النهار إلى ظلام حالك ففزع الطرفان من هذه الحادثة المخيفة وكفا عن القتال وعقد أصلحا وزوج ملك لديا إبنته بإبن سياكزار المدعو إستياج وجرح وزراء الدولتين أيديهما وشر بوادم بعضهما علامة على الإرتباط والتحالف حسب العوائد التي كانت جارية في تلك الأيام.

وفي المقريزي ما نصه ومن عجائبها (أي مصر) شعب البوقيرات بناحية أشمون من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة فتعرض أنفسها على الصدع فكلما أدخل بوقير منه منقاره في الصدع مضي لسبيله فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضي كلها ولايزال ذلك الذي يحبسه معلقًا حتى يتساقط ويتلاشى (راجع ذلك في الجزء الأول نمرة ٣١).

ومن خرافاتهم ما ذكره المؤرخون من أنهم كانوا يعبدون العجل أبيس مدة خمس وعشرين سنة فإن لم ينفق بالموت أخذوه في مهرجان عظيم وأغرقوه في النيل ثم حنطوه ودفنوه في مدفن العجول المعروف بسرابيوم جهة سقارة ويليس أهل مصر على موته شعار الحداد والحزن حتى يجدون عجلًا غيره وقد قلنا فيما سلف أنهم كانوا يعبدون كثيرًا من الحيوانات وغيرها وذكر كليمان الإسكندري في تاريخه أن الإنسان إذا دخل في أحدهيا كل هذه المعبودات رأي كاهنًا موقرًا عابس الوجه يد نومنه وهو يترنم بالزجل المقدس وقصيد المدح ويرفع قليلًا من الستر فيرى خلفه هرًا أو تمساحًا أو ثعبانًا هائلًا أو حيوانًا مفترسًا يتمرغ على بساط أرجواني.

وروى المؤرخ بلوتاركه أنه سمع أن المصريين كانوا يقربون قربانًا من بني آدم إلى معبودهم أوزيريس فيأتون بالرجال في يوم معلوم من السنة ويحرقونهم أحياء في قرية الكاب (بمحافظة الحدود) ويذرون رمادهم في الهواء ويسمونهم التيفونيين وذكر ديودور الصقلي أنه سمع هذه الرواية بعينها وزاد عليها قوله بشرط أن تكون وجوههم كلون وجه تيفون (إله الشر) أعني شقر الوجوه ولما كان هذا اللون نادرًا عند المصريين فلا جرم أن هذا القربان كان من الأجانب أما المؤرخ شمبليون فيجاك فجحد هذا القول كلية وشد النكير على من قال به واستشهد بالآثار وإنه لم ير عليها شيئًا من هذا القبيل وعضد قوله بأن منطقة فلك البروج المصرية وتقاويم الأعياد والمواسم خالية من تعيين يوم هذا القربان وقال إن المؤرخ هيرودوت طعن على اليونان الذين أشاعوا أن

المصريين لما أرادوا ذبح هرقول الجبار ليجعلوه قربانًا وتحقق من تصميمهم على ذلك قتل الحاضرين ونجا من الموت

إلى أن قال وأني أرتاب كل الريب في صحة هذا الإفتراء على المصريين الذين رفعوا للتمدن أعلى منار بين الأمم لكن إذا كان حصل هذا الأمر بأرض مصر فلابد وأن يكون جرى على يد العمالقة الذين أغاروا عليها سيما وأنهم قالوا أن الملك أحميس الذي أجلاهم عنها أبطل ذبح الآدميين منها.

وكان المصريون يعتقدون أن الأرض سطح مستو رقيق طولها أعظم من عرضها قد طفت على (النو) أي الأقيانوس أو المحيط وأن السماء ممتدة عليها كسقف عظيم ثقيل من الحديد مركب من طبقتين والماء محصور بينهما وأن الطبقة السفلى فرشه وهى شفافة والعليا أو العرش غطاؤه وجميع الكائنات تحته ولما كانت هذه الكتلة السماوية ثقيله جدًا ولا يمكن إمساكها في الجو ولا تعليقها في الفراغ إلا بالدعائم المتينة والعماد القوية جعلوا لها في رسمهم اسطوانات على شكل جذوع الأشجار ولها شعوب تخرج منها لتحملها وتقيها من السقوط على الأرض وتارة كانوا يرسمونها على شكل قبة عظيمة تحملها أربعة عمد أو إسطوانات أو يرسمون الأرض على صورة معبودهم (سيبو) وهو راقد على ظهره ورافع يديه ورجليه كأنها أربعة عمد تحمل المعبود (نوت) وهو السماء وإذا أرادوا بيان الطبقتين رسموا هذا المعبود الأخير كأنه شخصان راقدان فوق بعضهما محمولان على أربعة قوائم المعبود (سيبو) الراقد على ظهره وهو الأرض وكثيرًا ما رسموا السماء على هيئة إنسان قائم فوق الأرض على يديه ورجليه كأنه سقف ممدود عليها وتحته سفينتا الشمس وهى تشرق وتغرب تجرها الآلهة وصورة الكواكب وأرواح الموتى (انظر الشكل الآتي)

(أ) السماء نوت قائم فوق الأرض على يديه ورجليه كالسقف.

(ب) الأرض سيبو تحمل السماء و بينهما كثير من المعبودات.

(ج) الشمس رع تكون في غروبها على هيئة إنسان له جناحا طائر.

(د) الثعبان آف يحرس الشمس وهو فاغر فاه ليقيها في غروبها من كيد أعدائها.

(هـ) السفينة اللدنية الحاملة لشمس تسبح في ماء القدرة وقت الغروب.

(و) الأعوان المكلفون بجر سفينة الشمس وقت الغروب.

(ز) الشمس في مشرقها تحفها الآلهة ويسيرون معها في سفينتها.

(ح) جثة الصالحين بعد الموت تكون في أعلى عليين وترى الشمس في مشرقها.

(ط) الروح (با) أتت لزيارة جثتها بعد الموت.

وكثير مثل هذه التصورات مرسوم على الآثار ولكن من الذي يهتدي إلى حل معماها وكانوا يقولون أن المعبود (شو) خلق جميع العالم وفصل السماء عن الارض ورفعها في الفراغ على قدر ما إستطاع أن يرفع يديه بها ثم حملها المعبود (سيبو) الأرض على قوائمه وهي يداه ورجلاه وهذا يقرب مما قاله اليونانيون في خرافاتهم من أن أحد المردة المعروف عندهم بإسم أطلس حرم الفتنة وأضرم نار الشر وأغرى التيتانيين على حرب الآلهة ونبذ طاعتهم ظهريًا ولما علموا بما كان منه قضوا عليه أن يجثوا على ركبتيه ويحمل السماء على عاتقه إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين جزاء لما كسبت يداه.

وكانوا يزعمون أن الشمس والقمر والنجوم السيارة والثابتة المنيرة آلهة بعضها راسب في قاع المحيط السماوي وبعضها طاف على وجهه وبعضها سابح فيه وبعضها راكب في مدينة يسير بها كل يوم من المشرق إلى المغرب وأن جميع الأجرام السماوية تحت رئاسة الشمس ويرى أحيانًا صورة هذه الكواكب في سنن تسبح في الأقيانوس الأعلى خلف سفينة أوزيريس وكثيرًا ما كانوا يرسمونها في صورة مصابيح معلقة في قبة السماء توقدها القدرة في كل ليلة لتضيء على أهل الأرض وما أحسن قول الشاعر في هذا المعنى

والمشـــترى يتلـــو الصـــباح كأنـــه عـــربان يمشـــي في الـــدجى بســـراج

وتارة كانوا يرسمون الماء على شكل وادي مصر يشقه (النو) وقد مثلوه بالنيل وحصروه مثله بين ساحلين ممتدين من الجنوب إلى الشمالا وقسموا السماء إلى أقسام أو مديريات كأقسام مصر والشمس تطوف عليهم كل يوم في سيرها من المشرق إلى المغرب وتدخل عند المساء في فتحة جبل مثلوه بجبل العرابة المدفونة أو الخرابة المدفونة التي بمديرية جرجا بإقليم الصعيد فإذا نزلت وغارت في جوف الأرض تجرى في سرداب يتخلله مغارات وكهوف واسعة ذات أرض فسيحة مسكونة بالعالم السفلي فتضيء عليهم بنورها ثم تغادرهم وتخترق الظلام وتقطع المسافات الطويلة والعقبات الهائلة والمهالك الصعبة وهي تؤم المشرق إلى أن تظهر في الأفق وتنجو من شر الظلمات وأخطار العقبات فتنير على أهل الأرض مرة ثانية وهكذا في كل يوم.

وقد سبق ذكر ما قالوه في الروح من أنها على شكل باشق أو حمامة لها رأس إنسان تطير في

ملكوت العالم وتعود لزيارة جثة صاحبها متى أرادت ولذا جعلوا لها في بعض المقابر رواقًا أو مخدعًا بجوار الميت لتستريح فيه أو لتسكنه متى قصدت زيارته وأغلب نصوص الأهرام تنبئنا عن الروح وما آل إليه أمرها في الدار الآخرة وكانوا يعتقدون أنها مخيرة في صعودها إلى السماء بأي طريقة شاءت فتارة ترقى سلمًا من مغرب الأرض إلى السماء حيث مساكن الآلهة غير أن هذه الطريقة ليست متيسرة لكل روح أرادت الصعود إليها لأنها تضطر أولًا إلى الوقوف بين يدى هاتور الموكل بخفارة السلم وأنها تتلو عليه العزائم وترقيه بالرقية الخاصة لذلك أو يكون معها الطلاسم والتعاويذ لينبتا قدميها بين يديه ومتى فعلت ذلك أخذ يحاسبها على ما أجرمته في دينها ودنياها فإن كانت تقية وظهرت مبرتها أباح لها الصعود عليه هنالك يحيط بها ثلاثة من الآلهة يتكفلون بحفظها من شر المهالك والمخاوف ومتى وصلت إلى السماء أوقفوها بين يدي المعبود (رع) أي الشمس فإن لم ترض الروح بالصعود إلى السماء على هذه الطريقة وكانت طاهرة فلها أن تتشكل في هيئة باشق له جناحان قويان يوصلانها إلى السماء بدون واسطة وتقدمها الآلهة إلى الشمس كمامر وإلا فلها أن تذهب بعد دفن صاحبها إلى جبل العرابة المدفونة وهناك تلوذ بالشمس وقت غروبها وتدخل في كتفها في مساء اليوم نفسه الذي دفن فيه صاحبها وتخترق معها السرداب والكهوف وتجوب الغسق والظلام وتقطع العقبات والمهالك وتقاسي معها ما تقاسيه من الشدائد فتصير كأحد حاشيتها ومتى أتمت هذه الدورة السفلية معها وإرتفعت في الصباح إلى السماء صارت في حكم الشمس نفسها وتصير أعداؤها أعداءها وغذاؤها غذاءها وهناؤها هناءها ولها ما لها وعليها ما عليها ولها أن تترك الشمس وباقي الآلهة وتهبط إلى الأرض متى شاءت لزيارة جسم صاحبها المقبور بشرط أنها إذا أرادت العودة إلى السماء لا تسلك إلا طريقها الأول وعلى كل حال فالروح بعد خروجها من جسم صاحبها لم تنل هذه الدرجة العليا إلا إذا كانت طاهرة زكية تقية بارة وأيدت براءتها يوم الحساب بالبراهين الدامغة والأدلة الساطعة كما أن كثرة القرابين التي تقدم للمرء بعد موته تلزم الآلهة بالتجاوز عن سيئاته وغض الطرف عن مساويه وهفواته وتوجب عليهم قبول روحه في أعلى عليين وتكون معهم أينما كانوا (راجع الباب الثاني عشر) وكل من تأمل في نصوص أدعيتهم التي كتبوها على الآثار على أنها أوامر مشددة على معبوداتهم بإجابة طلبهم ليس فيها إستغاثات ولا إبتهالات بل جميعها صيغ في حكم التنبيه والطلب والأوامر مجردة عن الرجاء والخضوع عارية عن التذلل والخشوع غير أن بعض علماء الآثار إنتحل لهم عن ذلك معذرة وقال أن هذه الأدعية كتبت في أزماتهم القديمة جدًا حينما كان

الناس على فطرتهم الأصلية وجبلتهم الأولية لا يميزون بين الأمر والإلتماس والدعاء و بقيت هذه الصيغ محفوظة في صدور كهنتهم يتلقاها كل جيل ممن سلف وتوارثها الأبناء عن الآباء ويتبركون بتلاوتها وهم جازمون بسرعة إجابتها مجمعون على بركتها لأنها من الباقيات الصالحات فلذا مكثت على حالها لم تمسها يدًا لتغيير اه مسبرو ومن المستغربات أني رأيت بالصعيد سنة ١٨٩٢ مسيحية كثيرًا من أجسام الموت المحنطة وعلى كل واحد هراوة عظيمة من جريد النخل مربوطة على صدره وقدميه فخلتها عضادة

لحفظ جسمه من الإنحناء والتقوس أو الإلتواء ولم أهتد للمراد من وضعها مع الميت وربطها بهذه الحالة حتى عثرت في بعض كتب العلامة مبرو على توضيح ذلك حيث قال ورأيت بالصعيد مع كل ميت عكازًا وفي رجليه نعالًا من الجلد ليستعين بهما على وعثاء السفر الطويل وقد ظهر للباحثين من علماء الآثار أن أغلب الآلهة القديمة المصرية تبدلت بغيرها ولا يعلم السبب إلى الآن فقال بعضهم أنهم ماتوا وإنطوت أخبارهم وجاء غيرهم من بعدهم وقال آخرون إنهم لم يموتوا ولكن تغيرت وظائفهم فتغيرت أسماؤهم تبعًا لذلك اه ومما يؤيد ما قلناه قلة وجود إسم أوزيريس وغيره من الآلهة على آثار العائلة الرابعة والخامسة ثم أخذ في الظهور والكثرة مدة العائلة الثامنة عشرة ثم صار شائعًا على الآثار في عهد العائلة العشرين وما بعدها إلى آخر أيام دولة البطالمة بل إلى عصر دولة الروم العيسوية بمصر ومازال مرعبًا معبودًا إلى أن أخذ أمر هذه الديانة في الإنحطاط وصار عابدًا لصنم عرضة للقتل والنكال أعني بعد دخول دين المسيح عليه السلام بمصر ولما إنحط شأن أوزيريس وغيره من هذه المعبودات كسر أحد عساكر الرومان صنم الشمس الذي هو أكبر معبوداتهم وأخرج منه عدة من الفيران مع ما رسب فيه من فضلاتها التي هي أشد خبثًا من بول الثعلبان ولم يحصل من كسره على هذه الحالة أدنى فتنة لضعف دين الصابئة ولو كان كسر ذللك الصنم قبل ذلك الزمان لقامت الفتن وإشتدت المحن كما حصل أيام دولة البطالسة فإن أحد عساكر رومة قتل هرًا مقدسًا خطأ فقامت الأهالي على قدم وساق وقبضوا على الجندي وأذاقوه العذاب الأليم ثم قطعوه إربا ولم يصغوا لشفاعة ملكهم فيه ولم يكترثوا بسطوة رومة التي كانت سيدة الممالك ولها الشهرة وبعد الصيت وبتكسير الأصنام المصرية تركت عبادتها بالكلية وتلاشت الأوهام والوساوس الشيطانية سيما أمام الملك أركاديوس بن الملك تيودوسيس الأكبر الذي حكم سنة ٢٢٧قبل الهجرة النبوية أعني سنة ٣٩٥ بعد ميلاد المسيح وبذلك إسودت الهياكل وإغبرت بالتراب فصارت مهجورة لا يدخلها عابد ولا يومي

إليها راكع وساجد وبالجملة فلم تستفد مصر من دولة الرومان السفلى وهي دولة الروم العيسوية بمدينة القسطنطينية إلا إرشادها في أيامها الأخيرة إلى دين عيسى بن مريم عليه السلام وإنقاذها من دين الصابئة وهدم معابد الصم والوثن وتخليصها من خرافات الجاهلية.

وربما توهم القارئ أن مصر التي إنفردت في زمانها بالذكاء والحصافة ونشر العلوم وتدوين المعارف قد إنفردت أيضًا بالخرافات وتعميم الضلالات وتصديق الأكاذيب والترهات فدفعًا لهذا الوهم أذكر فصلًا صغيرًا في هذا المعنى لكل دولة كانت عظيمة بين العالم العظيم القديم وإشتهرت بالسطوة وشدة البأس أو بالرفاهية وحسن السياسة الأهلية حتى يندفع الاعتراض ويعلم القارئ أن جميع تلك الأمم كانت ذرية بعضها من بعض فأقول.

كانت العرب زمن الجاهلية تستعمل الأزلام وهى سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهانى ربى فإذا أراد الرجل السفر أو أمرًا يهتم به ضرب تلات القداح فإذا خرج الأمر مضى لحاجته وإذا خرج النهي لم يمض ومنها وأد البنات أي دفنهن أحياء فكان الرجل منهم إذا رزق أنثى وأدها وإذا بشر بها ضاق صدره وأسود وجهه وهو قوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم) وكانوا يئدون بناتهم بعد الولادة بأن يحفر الرجل حفرة في الجبل ومتى جاء المخاض إلى زوجته أخذها إليها فإن ولدت أنثى وأدها فيها وإن ولدت ذكرًا عاد به إلى داره وتارة كان يترك البنت إلى قرب المراهقة فيخبر أمها أنه يريد أن يذهب بها إلى بعض أهلها فتلبسها أحسن ما عندها ويأخذها أبوها إلى الجبل ويرميها في الحفرة التي أعدها لها ويهيل عليها التراب ويرجع وإن لم يكن قصده وأدها ألبسها من صغرها مدرعة من شعر وتركها ترعى الإبل.

ومنها الرتيمة وهي ناقة كانوا يعقلونها على قبر من مات منهم ويسدون عينيها ويتركونها بلا أكل وشرب حتى تموت يزعمون أن الميت يركبها يوم البعث أما التعمية فكان الرجل إذا بلغت إبله ألفًا قلع عين الفحل يقولون إن ذلك يدفع عنها العين فإذا زادت عن الألف فقأ عينه الأخرى أما رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام إذا ثغر فرمى سنته في عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال أبدليني بأحسن منها فانه يأمن على أسنانه من العوج والفلج وهذا الزعم مستعمل إلى الآن عندنا ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونحق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها وأن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه إهتدى إلى الطريق.

وكانت البقرة إذا إمتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب وكانوا يقولون أن من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرانب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر إسم أمها فأمها تسكن ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة وقد بقي شئ من هذه التصورات في صدر الإسلام عند جهلة القوم من ذلك أن بعضهم كان يعتقد أن عليا رضى الله تعالى عنه لم يمت وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في مُحَمَّد بن الحنفية وأنه في جبل رضوى من أرض الحجاز وقال شاعرهم فيه

ألا أن الأئمـــــة مـــــن قـــــريش	ولاة الحـــــق أربعـــــة ســـــواء
علـــــي والثلاثـــــة مـــــن بنيـــــه	هـــم الأســـباط لـــيس بهـــم خفـــاء
فســـــبط ســـــبط إيمـــــان وبـــــر	وســـــبط غيبتـــــه كـــــربلاء
وســـــبط لا يـــــزوق المـــــوت حـــــتى	يقـــود الجـــيش يقدمـــه اللـــواء
تغيـــــب لا يـــــرى فـــــيهم زمـــــانًا	برضـــوى عنـــده عســـل ومـــاء

أما اليونان فحدث عن خرافاتهم ولا حرج منها أنهم كانوا يزعمون أن طير (الفنكس) ولعله السمندل كان يأتي من الغرب مرة واحدة في كل خمسمائة سنة ويدخل في معبد (رع) الشمس ويخفق فيه بجناحيه ثم يذهب وقال بعضهم إنه كان يأتي حاملًا جثة أبيه مضمغة بالمر وقال هيرودوت إنه كان عندما يعتريه الشيخوخة والهرم يضرم نارًا في حطب ذى رائحة زكية ويضع عليه كثيرًا من المر ثم ينزل فيها فيحترق و يصير رمادًا فيخرج منه فنكس آخر صغير يطير صوب المشرق ومنها بركان الذي حذفه أبوه چويتير (كوكب المشترى) من السماء لكونه ولد شنيع المنظر ممسوخًا فإنكسرت إحدى رجليه حالة سقوطه فصار أعرج جعله أبوه رئيسًا على الحدادين الذين يعملون الصواعق وقالوا إن باخوس ولد قبل أوانه فأدخله أبوه جوبتير في فخذه ليكمل مدة الحمل الذي كان يمكثها في بطن أمه ومنها بركسته الذي كان يمدد الغرباء على فراشه فات زادت أقدامهم عنه قطعها ومنها غزوة الأرغنوط في البحر إلى بلاد كلمغيده لنهب صوف الذهب ومنها يونون التي أرضعت هرقول الجبار حينما كان طفلًا فطار من لبنها شيء في السماء فنشأ عنه المجرة المعروفة بطريق اللبانة ومنها أن هرقول هو الذي قطع الحبل وصنع البوغاز المعروف الآن باسم بوغاز جبل طارق ويعرف قديمًا عندهم بإسم أعمدة هرقول ومنها تيزا الجبار إبن ملك أنيكا وذهابه إلى جزيرة كريت ودخوله في التيه على الغول المسمى مينوطور الذي كان

على شكل إنسان وله رأس طور وقتله إياه وزواجه بنت مينوس ملك هذه الجزيرة مقابلة ما فعلته معه من الجميل وغير ذلك مما يطول ذكره ويمل القارئ منه (راجع صحيفة ٢٢٧ من كتاب بداية القدما وهداية الحكما).

وكما أن الخرافات كانت ضاربة أطنابها عند اليونان وغيرهم كانت مستوطنة أيضًا عند الأشوريين والبابليين من ذلك ما نقله المؤرخون في خبر الملكة سميراميس وملخصه أنها فتحت الفتوحات العظيمة وجالت بخيلها ورجلها في جميع الممالك التي بقسم آسيا الصغرى واستولت عليها وضمتها إلى بلادها حتى جعلت حدودها بلاد الهند ثم دخلت مصر وبلاد السودان واستولت عليهما وبعد ذلك سولت لها نفسها أن تخضع بلاد الهند فتوجهت إليها بالأفيال والرجال والتحمت في القتال مع ملكها المدعو إستراتوباتيس وإنتهى الأمر أخيرًا بانهزامها وعودتها خائبة إلى بلادها وهي التي خرقت الجمال وأجرت الأنهار العظيمة إلى الأراضي القحلة التي كانت في بلادها وبنت القلاع والحصون والمعاقل وشحنتها بالرجال والمقاتلة ومهدت الطرق في الجبال الصعبة المرتقى التي ما كانت الوحوش الضاربة تستطيع الوصول إليها ثم بلغلها أن إبنها المدعو ننياس إئتمر بها وأراد هلاكها فتنازلت له عن الملك وتحولت إلى حمامة وطارت.

أما الفنيقيون أو الكنعانيون فكانوا أدهى وأمر لأنهم كانوا يفزعون عند الشدائد إلى معبودهم المدعو (بعل ملوخ) المتخذ من الصفر (التوج أو البرونز) على شكل إنسان جالس ماد ذراعيه ويوقدون تحتهما نارًا حتى يتلظيا ثم يلقون أولادهم عليهما فيموتون في الحال وقس على ذلك.

وأما العجم فيكفينا منهم زواج الرجل أخته وإباحة المحصنات من نسائهم لكل إنسان راجع تاريخ (زرداشت) وذكر هيرودوت أن إكزرسيس ملك العجم لما قصد حرب اليونان عبى جيشًا كثيفًا وتوجه به لقتالهم وبينما هم سائرون في البحر لذهبت عليهم عاصفة من الريح فإنكسرت منهم سفينة ذات ثلاث طبقات فغضبا إكزرسيس المذكور وضرب البحر بالسوط وأمر بقتل الملاحين الذين كانوا بتلك السفينة وقطع جبل أتوس (الواقع في نهاية شبه جزيرة سالونيك بأرض الروم إيلى في تركية أوربا) لأجل تسليك طريق لسفنه ولو أطعنا القلم لكتبنا مجلدات في هذه الخرافات ولكن حسبنا ما أثبتناه في هذا المختصر.